# فكر ابن ســـــحنون التّــربوي

د. امعمّر محمد ميـــــلاد أحمد ـ كلية التربية ـ جامعة الزيتونة .

Ibn Sahnoon's educational thought
This study aims to achieve a basic goal, which is to identify the educational aspects in the life of Muhammad bin Sahnoon, and to establish the cultural heritage of the Arab Islamic nation through his works for teachers and learners, which are issues in education and teaching, and the educational thought that guides and directs the educational process is a safety valve for building the human being in a way that qualifies him for a serious faith-based contribution to discovering science and knowledge and interacting, taking and giving, with the scientific, creative and innovative data of the age. The reviewer of Ibn Sahnoon's life and biography finds it full of incidents that represent good upbringing and effective social behavior. In this research paper, which relies on one of the tools of the descriptive analytical approach, which is documentary analysis, I have tried to reveal some features of Ibn Sahnoon's educational and teaching approach. After reviewing the state of education and teaching in his era and before his era, and the role of his family in his scientific formation, the study concluded with the most important results: There was a group of educational values and principles that he relied on - may God have mercy on him - represented in literature, patience, pride in knowledge, and perseverance in seeking knowledge. The field of educational thought is fertile, and the actual need for it is urgent to explore and crystallize the abundance of the masterpieces of Islamic scientific heritage, because generations are in dire need of it in our present era, and human knowledge flourishes with positive thinking.

## الملخّـــــص :

تهــدف هــذه الدراسة إلـــى تحقيــق هدف أساســي هو التّعرف على الجوانب التربوية في حياة محمد بن سحنون، وتأصيل التراث الحضاري للأمّــة العربية الإسلامية من خلال مصنفاته الخاصة بالمعلمين والمتعلمين، والتي هي عبارة عن مسائل في التربية والتعليم، والفكر التّربوي الموجه والمرشد للعملية التربوية صمام أمان لبنا الإنسان بناءً يؤهله للمساهمــة الإيمانية الجادّة في اكتشاف العلم والمعرفة والتفاعل أخذاً وعطاءً مع معطيات العصر العلمية والإبداعية والابتكارية.

فالمستعرض لحياة وسيرة ابن سحنون يجدها حافلة بالحوادث ، التي تتمثل فيها التربية الحسنة ، والسلوك الاجتماعي الفعال ، وقد سلكت في هذه الورقة البحثية والتي تعتمد على إحدى أدوات المنهج الوصفي التحليلي، وهو التحليل الوثائقي ، إلى محاولة الكشف عن بعض ملامح منهج ابن سحنون التربوي والتعليمي ، وقد خلصت الدراسة بعد استعراض حالة التربية والتعليم في عصره وقبل عصره ، ودور أسرته في تكوينه العلمي إلى نتائج أهمها : أنه كانت هناك مجموعة من القيم والمبادئ التربوية التي استند إليها – رحمة الله – تمثلت في الأدب، والصبر، والاعـتزاز بالعلم ، والمداومـة في طلب العلم ، في ميدان الفكر التربوي خصب ، والحاجة الفعلية له ماسة لاستكشاف وبلورة الإكثار من روائع التراث العلمي الإسلامي ، لأن الأجيال بأمس الحاجة إليه في مثل عصرنا الحاضر ، وتزدهر المعرفة الإنسانية بفكر إيجابي .

## المقدمـــــة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسول الله المصطفى.

أما بعد:

الفكر التّربـــوي فكر علميّ يدرس التربيـــــة، فالتربية هي مرآة المجتمع يرى فيها نفسه ويؤكّد فيها ذاته ، وكما تكون التربية يكون المجتمعُ ، ولستُ أشك أن دارس الفكر التربوي سـوف يجدُ فيما خلّفه السلفُ كنوزاً تمخّضت عن أفكارهم ، وقد يجدُ في بعضها سذاجـــة لا يستسيغها عقله اليوم .

وعليـــه ألا ينسى أن عقله حصاد قرون طويلة مرّ بها الإنسان وكرّس من الملكة المعرفيـــة والحكمة القدر الكبير ، ولقد أشار القرآن الكريم بالآيات التي تتحدث عن العلم وغيره من المسائل التربوية، قال - تعالى - : ﴿ **إِ قْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۚ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۚ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۚ** ﴾[1] -أيضاً - تناولت السنة النبوية فيما يخص التعليم والتربية حيث كان الرسـول - صلى الله عليه وسلم - معلماً ومربياً ، يعلم المسلمين علوماً شـرعية علمه إيّاها العليم الحكيم – عز وجل – يقول رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم " **إنما بعثت معلماً** [2] .

إن الفكر التّربوي الذي بصـــدد الكلام عنه لن يقف طالما يحيا الإنسانُ في جماعات ويقيم مدينات ويستفيد من الماضي ليفيد أهل المستقبل، وكثيرة هي التجارب الإيجابية التي يُمكن الوقُوف عليها في تراثنا التّربوي الأصيل ، ممثلة في علماءِ الأمة الأمجاد ، ومن بينهم محمّد بن سحنون ، ومما لاريب فيه أن شخصيةً مثل هذه لا بد أن يكون لها أثرها الديني والتربوي، في عصرها وفيما بعد ذلك من عصور، وترمى

هذه الدّراسة إلى محاولة الكشـفِ عمّا في التراث الإسلاميّ من مضامين تربوية ، يحتاج إليها طلاب العلم والمربون والمعلمون، وذلك في ضوء أقــوال ابن سحنون وسيرته العلمية، وحالة العلم والتعليم في عصره، والقيم والمبادئ التربــوية التي استند إليها، والأساليب التعليمية التي استخدمها لإيصال علمه وأفكاره ، ولهذا فمازال تراث ابن سحنون في التربية والتعليم ميداناً بكراً وخُطوة جادة نحو إثراء هذا المجال التربوي الأصــيل ، وذلك بأن نحفّز جهودنا وأقلامنا للقيام بدراسات متواصلة ، بحيث تكون أكثر عمقاً وأعظم نفعاً لأمتنا الإسلامية التي تبحث عن فكرها التربوي والذى نحن في أمس الحاجة إليه في وقتنا الحالي .

## تحديد مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :

إن علماء المسلمين الأوائل تركــوا لنا تراثاً فكرياً وتربوياً غنياً، يعكس صورة الماضي، ويضئ طريق الحاضر والمستقبل، وعليه تظهر الحاجة الماسة إلى القيام بدراسة تخصصية واضحة لأعــلام التربية الإسلامية، وإحياء أفكارهم التربوية الرائعة لبناء نظامنا التربوي على أساسه، ومن هؤلاء الأعلام المربي محمد بن سحنون – رحمه الله – وعلى ذلك تحاول هذه الدراسة الكشف عن بعض أفكاره التربوية ، والتي تتمثل في الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي :

ـ ما حقيقة الفكر التربوي عند محمد بن سحنون ؟

ويندرج تحته الأسئلة الفرعية الآتية ، والتي تمثل أسئلة البحث :

ـ ما العوامل التي أثرت في فكر ابن سحنون ؟

ـ ما سيرة حياة ابن سحنون – رحمه الله تعالى – الشخصية والعلمية ؟

ـ ما أهم أفكار محمد بن سحنون في التربية والتعليم ؟

ـ ما أهم السمات والمرتكزات التعليمية لكتابات وآرا ابن سحنون ؟

## أهداف الدراسة :

الدراسة الحالية تهدف إلى تحقيق الهدف الرئيس الآتــي :

ـ إبراز مســـيرة وصور حياة محمد بن سحنون – رحمه الله تعالى – بوصفه مربياً ، ويندرج تحته الأهداف الفرعية التالية :

ـ بيان سيرة حياة ابن سحنون – رحمه الله – الشخصية والعلمية .

ـ محاولة إبراز معالم الفكر التربوي لمحمد بن سحنون ، وأثر هذا الفكر في حياة المجتمع المغربي في عصره .

ـ تقديم بعض التوصيات التي ربما أمكن الاستفادة منها عند إعادة النظر في أوضاع التعليم في بلدنا الحبيبة ليبيا .
ـ الإسهام في تأصيل الفكر التربوي المعاصر ، وربطه بمصادر التربية الإسلامية ، وصياغة شخصية الناشئة الفكرية في ظل التوجيهات التربوية .
ـ استنباط الأسس التربوية للمواقف الجيدة في كتابات ابن سحنون وآرائه .
ـ إظهار أهم أفكار محمد بن سحنون في التربية والتعليم .

## أهمية الدراسة والحاجة إليها :

إن أهمية أيّ دراسة تأتي ما سيقدم الباحث للقُــرّاء والدّارسين من آراء في هذه الدّراسة ، وتأتي بمقدار قيمة ما يبحث فيه من قضايا ومادة علمية . وتظهر أهمية الراسة من خلال النقاط الآتية :
ـ إنه يتناول بالدراسة العلمية الفكر التربوي لشخصية تربوية وعلمية كان لها دوراً مؤثراً في حياة المجتمع الذى كان يعيش فيه ذلك الوقت .
ـ إبرازُ كنوزنا العلميـــة والتربوية، حيث إنها تحتاج إلى إظهار الكثير من العناية العربية والإسلامية والعالمية، دعماً للمحاولات الجادة في هذا المجال .
ـ ستستفيد من نتائج الدراسة الحالية المؤسسات التربوية والتعليمية والاجتماعية والمجتمعات الإسلامية ومراكز البحوث ودراسة الشخصيات التربوية الإسلامية المؤثرة في المجتمع في بنا خططهم الاستراتيجية وخاصتاً العلمية والتربوية.
ـ إنه يسعى إلى توثيق الجهود التربوية والتعليمية لمحمد بن سحنون ، وتوضيح الدور الذي قام به في توعية وتماسك المجتمع المغربي في ذلك العصر .

## منهج الدراســـة :

بما أن الدراسة تدور حول فكرٍ تربـــوي لشخصية تعليمية تربوية ، فإن الدراسة تتبع أسلوب تحليل المحتوى الكيفي، لرصد المضامين التّربوية لآراء ابن سحنون وتحليلها ومناقشتها، ولاستنباط المعاني الكامنة فيها، ويُدرج أسلوب تحليل المحتوى الكيفي في الدراسات النظرية تحت باب الدراسات الوصفية الاستنباطية ، ( والتحليل الوصفي هو الذي يصف ما هو كائن ويفسّـــره )[3] .

## حدود الدراســـة :

تستند الدراســـة في مجالها الموضوعيّ على كتب ابن سـحنون وخاصةً كتابه: آداب المعلمين الذى يتعلّق بالجانب التربوي في حياته، وكذلك كتب التربية والتعليم التي تكلمت على سيرته ومسيرته التعليمية والتربوية .

## مفاتيح الكلمات

**الفكـــر** : هو جملة النشاط الدهني ، وهو أســـمى صورة للعمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنظيم [4] .

**ابن سحنون :** هو شيخ المغرب : عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي القيرواني المالكي [5] .

**التربية** : هي مجموعة من الخبرات التي يمر بها الفرد أثناء تعلمه كيفية التعامل مع البيئة المادية والاجتماعية ، وهي عملية مستمرة مدى الحياة. [6] .

## الدّراســـات السّـــابقة :

من خلال اطلاعـــي على الدّراسات السابقة يمكن تلخيص الدراسات ذات العلاقة بموضوع الدراسة إلى دراستين اثنتين :

**1ـ دراســـة:** امعمر محمد ميلاد أحمد العباني 2019 م ، بعنوان : الفكر التربوي عند شيخ الشهداء عمر المختار[7] ، وهدفت هذه الدراسة إلى معرفة نشأة عمر المختار، والعوامل المؤثرة في تكوين فكره، والكشف عن ملامح الفكر التربوي لديه ، واستخدمت الدراسة المدخل التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي ، وتوصلت إلى نتائج أهمها:أن الشهيد عمر المختار– رحمه الله تعالى – هو علم من أعلام الفكر التربوي ، الذين أسهموا في تنشيطه وتطويره، وأوصت بالعـودة إلى تراث المســلمين التربوي والفكري ، والبحث فيه، وفي آراء المفكرين والمربين المسلمين؛ لأن العودة إليه فيه طريقاً لإثراء الفكر التربوي والاهتمام به .

**2ـ دراســـة :** عاطف الطّحاوى 1990 م ، وموضوعها : الفرســان العشرة في الإسلام [8] ، فهده الدراسة عبارة عن دراســة تاريخية لسيرة عشرة أشخاص من أبطال المسلمين أمثال : سعد بن أبي وقاص ، وصلاح الدين الأيوبي ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وموسى بن نصير ، وقتيبة بن مسلم ، ومحمد بن القاسم ، وعمر المختار .

أما بالنسبة لعمر المختار فقد بينت هذه الدراسة كيف نهل هذا الصبي من مبادئ الإسلام ، ففي واحـــة الجغبوب حفظ القرآن الكريم ، وأتـقـن علوم الشريعة واللغة والتاريخ والمنطق، وملخص هذه الدراسة أنها دراسة لاستنباط الأفكار التربوية من كتب التاريخ، كما وضحت صفاته الخلقية، إلى جانب ما قام به من أدوار تربويـــة في التعليم والتربية وفي المعارك والمعاهدات .

## خطة الدراسة :

ستجيب الأسطر القادمة عن أسئلة الدراسة من خلال مناقشتها في مبحثين اثنين ، كالآتي :

## المبحثُ الأول - سيرة حياة محمد بن سحنون-رحمه الله - الشخصية والعلمية:

**اسْـــمُه :** هو شـــيخ المغرب : عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي القيرواني المالكي .

**لقبـــه :** سحنون ، ولقب هذا اللقب لحدّة كانت في ذهنه . وسحنون – يفتح السين وبضمها – طائر بالمغرب ، وهو من أصل عربي ، أصله من الشام من أهل حمص قال أبو العرب في : طبقات علماء إفريقية وتونس، سمعت محمد بن أبان وقد قيل له : أكان سحنون من العرب صليبه أو من الموالي ؟ فقال : إن سحنوناً قد أخذ الناس عن دينهم ، وصدقوه في الدّين ، وائتمنوه عليه ، وقد قال : إنه من العرب، فكيف لا يصدقونه في نسبه ؟!

**كنيته :** أبو سعيد .

**مولـــده :**اختلفت المصادر في مولده فمنهم من قال ولد سنة ستين ومائة (160 هـ) ، وقال بعضهم ، ولد سنة اثنتين ومائتين ( 202 هـ )[9].

**شـــيوخه** : [10] أوّل ما تتلمذ عن أبيه ، وعليه معتمده، وتتلمذ عن مجموعة من جماعة علماء بإفريقية ، منهم : عليّ بن زياد ، وأبو مسعود العباس بن أشرس، وعبد الله بن عمر بن غانم ، والبهلول بن راشـــد . ومن شيوخه بعلماء مصر، فقد أخذ العلم من : عبد الرحمن بن القاسم ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وشعيب بن الليث ابن سعد ، ومن شـــيوخه علماء المدينة ، ونهل العلم من عبد الله بن نافع الصائغ ، وأنس بن عياض ، ومطرف بن عبد الله ، ومن علماء الشام ، أخذ من الوليد بن مسلم ، ومن أبـــي سعيد أيوب بن سويد الحميري، ورحل إلى المشرق سنة خمسة وثلاثين ومائتين فلقى جماعة علماء منهم : أبو مصعب الزهري صاحب الإمام مالك ، وسلمة بن شيب وغيرهم .

**تلاميـــــذه** : ومن تلاميذه الذين أخـــذوا العلم منه : ولده مُحمّد ، وسعيد بن نمر الغافقيّ ، ووهب بن نافع، ويحيى بن عمـــرو ، وابن مغيث ، وعيسى بن مسكين، وعدد كثير من طلابه .

**مكانة محمد بن سحنـــون العلمية**: قال عنه أشهب : ما قدِم علينا مثل سحنون .وقال عنه أحد علما إفريقية أبو العرب : كان جامعاً للعلم فقيه البدن ، اجتمعت فيه خصال ما اجتمعت في غيره : الورع الصادق ، وقول الحق ، والزهد في الدنيا ، الفقه البارع وفي ذمه للرأي : وسُئل سحنون : أيسع العالم أن يقول : لا أدري ، فيما يدري ؟ فقال : أمّا ما فيه كتاب أو سنة بائنة فلا ، وأمّا ما كان من هذا الرأي فإنه يسعه ذلك ، لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ . قال فيه المزني لما جالسه : لم أر والله أعلم منه ، ولا أحد ذهناً ، على حداثه سنه ، وقال حمديس القطان : رأيتُ العلماء بمكة والمدينة ومصر ، فما رأيتُ فيهم مثل سحنون ، ولا مثل ابنه بعده. وكان والده قد تفـرس فيه الإمامة ، وكان والده يقــول : ما أشبهه إلا بأشهب ، وكان يقول لمعلمه : لا تؤدبه إلا بالمدح، ولطيف الكلام، ليس هو ممن يؤدّب بالضّرب والتعنيف ، فإنّي أرجو أن يكون نســـيج وحده ، وفريد أهل زمانه ، وأخاف أن يكون عمره قصيراً !

**آثاره العلميـــــة :** أفضل آثار يخلفه الإنسان في هذه الحياة من بعد موته هو نشر العلم أو تأليف كتاب ، وذلك لقول الرسول- صلى الله عليه وسلم - :" **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقه جارية أو علم ينتفع به أو ولداً صالحاً يدعو** له" فها هو ابن سحنون يترك آثــار علمية ، ومن أشهر مصنفات سحنون رحمه الله كتابه :المدونة ، وأصلها أسئلة ســألها أسد بن الفرات لعبد الرحمن بن القاسم ، فلما رحل بها سَحنون عرضها على ابن القاسم ، وصحح فيها كثيراً ، ثم رتبها سحنون وبوبها. وألف ابن سحنون كتابه :المسند في الحديث ، وهو كبير ، وكتب أخرى في فنون العلم ومنها :

- كتاب : السير، وكتابه : في المعلمين ، ورسالته : في السنة ، وكتابه : في تحريم الخمر ، ورسالة : فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم - ، وكتاب : الإباحة ، وكتاب : الورع ، وكتاب : طبقات العلماء ، وكتاب :الإيمان والرد على أهل الشرك ، وكتاب : الرد على أهل البدع ، وكتاب : الحجة على النّصارى، وكتاب : الرد على الفكرية ، وكتاب: الحجة على القدرية ، وكتاب : تفسير الموطأ، وكتاب : التاريخ ، وكتاب : الأشربة

وقال بعض العلماء فيه : ألف سحنون كتابه الكبير مائة جزء ، عشرون في السير، وخمسة وعشرون في الأمثال ، وعشرة في آداب القضاة ، وخمسة في الفرائض ، وأربعة في الإقرار ، وأربعة في التاريخ والطبقات ، والباقي في فنون العلم .

قال القياض عنه : لما تصفّح مُحمّد بن عبد الله بن عبد الحكيم كتابه وكتاب ابن عبدوس، قال في كتاب ابن عبدوس : هذا كتاب رجل أتى بعلم مالك على وجهه ، وقال في كتاب ابن سحنون : هذا الكتاب رجل يسبح في العلم سبحاً .

**المناصب :** هذا الشـــيخ العالم من خلال توليه للمناصب لم يكن محباً للمال أو التراث؛ بل لم يأخذ على عمله أجراً ، ويحتسبه لله - سبحانه وتعالى - على الرغم من أنه ولي أصعب أمانة ، وهي الحكم بين الناس في منصبه لقضاء القيروان عام ( 234 هـ) وعمره يجاوز أربع وسبعين سنة ، وأقام فيها قاضياً ست سنين ، ولم يأخذ على عمله أجراً وبالفعل هـــذه هي التربية الايمانية والفكر الثاقب الذي نحن في أمس الحاجة إليه في عصرنا الحاضر ، والذين يحبون المال من أجل مناصبهم دون الحفاظ عليهـــا ، قال- تعالـــى - : ﴿ **وَتُحِبُّـــونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾[11].

**وفاتـــــه :** لم تتفق المصادر والمراجع على وفاة محمد بن سحنون ، ومنهم من قال توفـــي في رجب سنة أربعين ومائتين ( 240 هـ ) - رحمه الله - ، وقال آخرون توفي سنة ( 256 هـ ) - رحمه الله تعالى- ، ودفن بباب نافع .

## المبحث الثاني ـ أفكار ابن سحبون – رحمه الله – في التربية والتعليم

ومازال الفكر التربوي يتطور ، فلم يهتز التفكير بفلاســفة فطاحلة يظهرون بعد أرسطو إلى عــدة قرون ، وتمضي القرون مع عجلة الزمن ثم تأتي المسيحية ، وتمضي القرون ، ثم تظهر الدعوة الإسلامية وتعلو المآذن وتنتشر المساجد شرقاً وغرباً ، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً ، وتدور عجلة الزمن لتنقل مركز الثقل إلى الشرق الأوسط ليعلو صوته في العالمين في قرون كانت فيها أو أوروبا تغط في نوم عميق سياسياً واقتصادياً وفكرياً ، وقد نجد خيراً في الانتقال إلى بعض الفلاسفة التربويون من العرب الدين صات ذكرهم الافاق ودرست مؤلفاتهم وآراؤهم في الجامعات الأوروبية ، وفلاسفة العرب الذين كتبوا في التربية في العصر الإسلامي كثيرون ومن هؤلاء محمد بن سحنون

فسحنون الفيلسوف التربوي المتوفي عام (240 هـ ) كان عالماً وأهل ثقة ، فقيهاً بارعاً ، وزاهداً في الدنيا، وقد سلم له بالإمامة أهل عصره ، وقد تبوأ ابنه محمد مكانة عالية سائراً على نهج أبيه في تثبيت مذهب مالك بالقيروان بالمغرب خـــلال القرن الثالث الهجري ، وقد تحقّــق سحنون ولوالده ما ابتغيا فساد مذهب مالك في المغرب حيث تبنى القوم الفقه الإسلامي على أساس من القرآن والحديث، ولذلك اصطلح العلماء على تسميتهم بأهل الحديث[12] .

ولابن سحنون المفكر كتاب هو ( آداب المعلمين ) نقله عن أبيه ، ولهذا الكتاب تأثير حيث تأثر به بعض المفكرين الإسلاميين مثل القابسي ، ويتضمن هذا الكتاب الكثير من الحقائق والمبادئ التربوية ، وقد اعتمد سحنون مناهج البحث العلمية والوصفية والتاريخية والمقارنة والاتجاهات التعليمية التي تجعله صاحب مدرسة تربوية ، ويمكن أن نستعرض فكره التربوي من خلال كتابه : آداب المعلمين ، وهو أقدم كتب التربية العربية ، والكتاب رسالة لطيفة تتحدّث حول تربية الأولاد وتعليمهم وبفحوى الكتاب معلومات مفيدة جداً عن القواعد التي كان العرب المسلمون يتبعونها في تعليم أولادهم منذ فجر الإسلام حتى القرن الثالث الهجري، والرسالة بها مجموعة موضوعات منها الآتـــي : [13] .

ما جاء في تعليم القرآن العزيز . ما جاء في العدل بين الصبيان . باب : ما يكره محوه من ذكر الله – تعالي- وما ينبغي أن يفعل من ذلك . ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم . ما جاء في القضاء بهديه العيد . ما ينبغي أن يخلى الصبيان فيه . ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان . ما جاء في إجارة المعلم ومتى تجب . ما جاء في إجارة المصحف وكتب الفقه ومشا بهها .

وتكلّم ابن سحنون عن تعليم الصبيان ، واختلفت الآراء في تحديد مدة هذه المرحلة التعليمية ، ويلوح أنها كانت تمتد من السنة السادسة إلى الحادية عشرة .

بعد عرض الموضوعات السالفة الذكر في كتاب آداب المعلمين أقدم الشرح والتفصيل الموجز لبعض هذه الأفكار التربوية والتعليمية .

**ـ ما جاء في تعليم القـــــرآن العزيز :** قال أبو عبد الله محمد بن سحنون : حدثني أبي سحنون ، عن عبد الله ابن وهب ، عن سفيان الثوري ، عن علقمه بن مرثد ، عن أبى عبد الرحمن السلمى ، عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : افضلكم من تعلم القرآن وعلمه . وعن سحنون ، عن عبد الله بن عبد الله بن نافع قال : حدثني حسن ، عن عبد الله بن حمزة عن أبيه عن جده عن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عليكم بالقرآن فإنه ينفى النفاق كما تنقى النار خبث الحديد . وعن سفيان الثوري ، عن العلا بن السائب قال : قال ابن مسعود ثلاث لابد للناس منهم ، لابد للناس من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضا : ولابد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لقل كتاب الله ، ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ولولا ذلك لكان الناس أميين.

**ما جاء في الأدب وما يجوز من ذلك وما لا يجوز :**

عن عبيد بن إسحاق ، عن يوسف بن محمد ، قال : كنت جالساً عند سعد الخفاق فجاءه ابنه يبكى فقال: يابني ما يبكيك ؟ قال : ضربني المعلم ، قال : أما و الله لأحدثنكم اليوم : حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شرار أمتي معلمو صبيانهم ، أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين . قال محمد : وإنما ذلك لأنه يضربهم إذا غضب ، وليس على منا فعهم ، ولا بأس أن يضربهم على منا فعهم ، ولا يجوز بالأدب ثلاثاً ، إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آدى أحداً ويؤدبهم على اللعب والبطالة ولا يجاوز بالأدب عشرة ، وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثاً. وكذلك سمعت مالكاً يقول : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد .

**ما جاء في العدل بين الصبيان :**

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما مؤدب ولى ثلاث صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية ، فقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم ، حشر يوم القيامة مع الخانين . وعن موسى ، عن فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن الحسن قال : إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم كنب من الظلمة .

**ما جاء في إجارة المعلم ومتى تجب :**

وكتب شجرة بن عيسى إلى سحنون يسأله عن المعلم يستأجر على صبيان يعلمهم فيمرض أحد الصبيان أو يريد أبوه أن يخرج به إلى سفر أو غيره . فقال إذا استؤجر سنة معلومة فقد لزمت آباءهم الإجارة خرجوا أو أقاموا؛ وإنما تكون الإجارة ها هنا تقضى على حال الصبيان ؛ لأن منهم الخفيف والثقيل ، وقد يكون الصبي له المؤنة في تعليمه ومنهم من لا مؤنه على المعلم فيه . قال سحنون : وقد سئل بعض علماء الحجاز – منهم ابن دينار وغيره – أن يستأجر المعلم الجماعة وأن يفرض على كل ولد ما ينويه ، فقال يجوز إذا تراضى بذلك الآباء ؛ لأن هذا ضرورة ولا بد للناس منه، وهو أشبه . قال : ولابأس للمعلم أن يشتري لنفسه ما يصلحه من حوائجه إذا لم يجد من يكفيه . ولا بأس أن ينظـــر في العلم في الأوقات التي يستغنى الصبيان عنه ، مثل : أن يصيروا إلى الكتاب وإملاء بعضهم على بعض، إذا كان ذلك منفعة لهم ، فإن هذا قد سهل فيه بعض أصحابنا . وسئل مالك عن المعلم يجعل للصبيان عريفاً ، فقال : إن كان مثله في نفادة ، فقد سهل في ذلك إذا كان للصبي في ذلك منفعة وقال ابن دينار : سمعت مالكاً يقول : تجب للمعلم الختمة على قدر يسر الرجل وعسره ،

يجتهد في ذلك ولى النظر للمسلمين . وسئل عن المعلم يستأجر على تعليم الصبيان فيموت ، فقال : إذا مات انفسخت الإجارة ، وكذلك إذا مات أحد الصبيان انفسخ من الإجازة بقدر ما بقي من إجارة مثل الصبى ، وقد قيل إن الإجارة لا تنفسخ . وأن على المعلم فيما له مقاصة في التعليم ، وعلى أب الصبى أن يأتي بمن يعلمه المعلم تمام السنة ، وإلا كانت له الإجارة كاملة .

**ما ينبغي أن يخلـــى الصبيان فيه :**

قلت له : فكم ترى أن يأذن لهم في الأعياد ؟ قال : الفطر يوماً واحداً ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام ، والأضحى ثلاثة أيام ، ولابأس أن يأذن لهم خمسة أيام . قال : وأحب للمعلم ألا يولى أحداً من الصبيان الضرب ، ولا يجعل لهم عريفاً منهم إلا أن يكون الصبى الذى قد ختم وعرف القرآن ، وهو مستغنى عن التعليم ، فلا بأس بذلك .

**ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان :**

ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه ، فلا بأس أن يتحدث وهو قي ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم ، قال ويلزم المعلم الاجتهاد وليتفرغ لهم ، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز ، إلا فيما لا بدله منه ممن يلزمه النظر في أمره لأنه أجير لا يدع عمله ولا يتبع الجنائز ولا عيادة المريض ، وينبغي له أن يجعل لهم وقتاً يعلمهم فيه الكتاب ، ويجعلهم يتخايرون ؛ لأن ذلك مما يصلحهم ويخرجهم، ويبيح لهم أدب بعظهم بعضا ، ولا يجاوز ثلاثاً ، ولا يجوز له أن يضرب رأس الصبى ولا وجهه ، ولا يجوز له أن يمنعه من طعامه وشرابه إذا أرسل وراءه . ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا ولا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن لأن مالكاً قال : لا يجوز أن يقرأ القرآن بالألحان . وعلى المعلم أن يتفقدهم بالتعليم والعرض ، ويجعل لعرض القرآن وقتاً معلوماً مثل يوم الخميس وعشية الأربعاء ، وبأذن لهم في يوم الجمعة ، وذلك سنة المعلمين منذ كانوا لم يعب ذلك عليهم . وليعلمهم الأدب فانه من الواجب لله عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم. ولابأس أن يجعلهم يملى بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم ، وليتفقد إملاءهم . ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بأعرابها وكتابتها[14] . قال سحنون : ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة لأن ذك دينهم ، وعدد ركوعها وسجودها والقراءة فيها والتكبير وكيف الجلوس والاحرام والسلام ، وما يلزمهم في الصلاة والتشهد والقنوت في الصبح ، فانه من سنة الصلاة وينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين والاستسقاء والخسوف ، حتى يعلمهم دينهم ، وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

قال : وقال مالك : ولا بأس أن يكتب المعلم الكتاب على غير وضوء ، ولا بأس على الصبى إذا لم يبلغ الحلم ، أن يقرأ في اللوح على غير وضوء إذا كان يتعلم ، وكذلك المعلم . ولا يمس الصبى المصحف إلا على وضوء وليأمرهم بذلك حتى يتعلموه . قال : وليتعلموا الصلاة على الجنائز . قال محمد : وحدثني سحنون ، عن عبد الله بن نافع ، قال سمعت مالكاً يقول : لا أرى أحد أن يقرأ القرآن وهو مار على الطريق إلا أن يكون متعلماً . ولا أرى أن يقرأ في الحمام . قال سحنون : وأكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم . قال مالك : وإذا مـــرّ المعلمُ بسجدة وهو يقرؤها عليه الصبى ، فليس عليه أن يسجد ؛ لأن الصبي ليس بإمام إلا أن يكون بالغاً ، فلا بأس أن يسجدها ، فإن تركها فلا شيء عليه ؛ لأنها ليست بواجبه . وكذلك إذا قرأها هو ، فإن شاء سجد ، وإن شاء ترك : ألا تـــرى أن عمر قرأها مرة على المنبر، فنزل فسجد ، ثم قرأها مرة أخرى ، فلم يسجد لها فقال : إنها لم تكتب علينا .

ومما تقدم في هذا السرد يتّضح لنا أن بعض كتابات سحنون في التربية والتعليم تتفق مع ما يذكره الأدب التربوي الحديث ، من الخصاص التي يجب أن يتمتع بها المعلم الفعال والمبدع والمجدد ، والمعلم الماهر ، والخصائص الاجتماعية للمعلم الجاد ، وقد أسهم ابن سحنون مساهمة جادة في تربية متعلمين صالحين مخلصين مؤمنين معتزين بدينهم واعين وفاهمين لتعليمهم وبالدور الذى يمكن أن يقوموا به في تطوير الحياة الثقافية والاجتماعية والتربوية .

**خلاصة الفكر التربوي التعليمي في موضوعات ابن سحنون :**

1- تربية محمد بن سحنون تربية عملية قوامها العمل الفعلي ، وذلك بأسلوب اللين ، القدوة الحسنة ، المنافسة ، الخطابة ، الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

2- التركيز على العلم وتعليمه مع مراعات الفروق الفردية بين الطلاب ، وإتقان التعلم . تطبيقاً لقوله - تعالى - : ﴿ **يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ (15) .

3- الاهتمام باللغة العربية وإتقانها .

4- الاهتمام بالتربية العقلية والخلفية والجسمية .

5- نلاحظ أن ابن سحنون مفكراً تربوياً ؛ إذ جمـــع معظم صفات المعلم المسلم الدينية ذات الطابع الإسلامـــيّ ، والقوّة الروحية ، والفكرية ، والشخصية الإسلامية المتميزة .

6- نادى بمبدأ المساواة في التعليم بين الطلاب ، لا فرق بين غني وفقير .

7- أكّـد على ضرورة طلب العلم وتقدير العلماء واحترامهم والاهتمام بالتعليم والتعلم، والسؤال عند الحاجة.

**الخاتمـــــة :**

تختتم هذه الدراسة بحمد الله – سبحانه وتعالى – وبعد هذه الجولة العلمية المختصرة والمتخصصة في الجوانب التربوية في حياة محمد بن سحنون ، وبما توصلت إليه من نتائج ، والنتائج التي يمكن استنباطها هـــي :

1ـ تربية محمد بن سحنون إسلامية بحتة أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

2ـ تناول فكر سحنون قضايا تربوية تدل على رسوخ قدمه في التربية ، يستدل منها بإيجار بليغ هدف التربية ووسائلها وشروط طالب العلم .

3ـ جل تربية ابن سحنون عملية تقوم على القدوة الحسنة .

4ـ وضع شيخ المغرب في كلمات قليلة ونافعة سر قوة المعلم المتفوق و الأخلاق الفاضلة ، وتوجه المتعلم برفق نحو القرآن وعلومه النافعة ، والتدرج في التعليم وإيجاز المعلومات

5ـ من قواعد التعليم الإيجار عند تفهيم المعلومة وتقرير القواعد ووضع التعريفات والإسهاب عند الشرح والموعظة .

6ـ الزهد ركن أساس في حياة ابن سحنون .

7ـ التعليم هو الركيزة الأولى في فكر سحنون التربوي .

8ـ أكد مسؤولية المعلم التعليمية ، ودعاه إلى أن يكون متقناً لعمله مخلصاً في أداء رسالته .

9ـ تميّز ابن سحنون في موضوعاته ونصائحه وحكمه وأقوالــه لتلاميذه ومن يقابله ، جعلت منها كنزاً ثميناً، وخطوطاً عريضة للباحثين عن العلم والملكة المعرفية .

10ـ المفكرون والعلماء والحكماء سيرتهم مليئة بالدروس والعبر والفوائد الممتعة التي تُرقّى الإنسان في حياته العلمية والعملية، وهي بكل تأكيد غنية عن الأمثال والقدوات الهابطة التي تتوغّل في عصرنا الحالي .

11- إن سلوك محمد بن سحنون في حياته الخاصة والعامة ترجمة واقعية لنصوص التربية الإسلامية .

12ـ طريقة تعلم وتربية سحنون وأسلوبه في ربط قضايا عصره بالبيان الإلهي يمكن أن يكون مدخلا لحل القضايا التربوية المعاصرة .

على ضوء نتائج الدراسة التي توصلت إليها ، أقدم التوصيات الآتية :

1- على الباحثين تركيز البحث والدراسة على جوانب خفية من حياة الشيخ سحنون – رحمة الله تعالى – فإنها لا تزال بكراً تستقطب المنقبين .

2- إن أسلوب ابن سحنون في التربية المستمدة من منهجنا الإسلامي السـمح يمكن أن يكون مرجعاً في وقتنا الحاضر لأسلوب التربية الحديثة . لذلك توصى الدراسة بإزالة الغبار عن فكر سحنون ومحاولة الاستفادة منه في مؤسساتنا التربوية التعليمية .

3ـ ضرورة التركيز في مناهجنا التربوية في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والمعاهد العامة والخاصة والجامعات العربية والإسلامية على تطوير سيرة سلفنا الصالح ، وإلقاء الضوء على أفكارهم في هذا الصدد ، وتوصى الدراسة بإدراج مقرر مستقل عن علمائنا الأفـذاذ في المجال التربوي ، يتم تعميمه على الجامعات العربية والإسلامية، ولا بد من تغذية هذه المناهج بالطرق التربوية المستمدة من السلف الصالح، ومزجها بالأساليب التربوية الحديثة ، حتى لكي يرسـخ أثر التربية في الناشئة المسلمين .

4ـ إشباع القرارات الدّراسية بمفاهيم تربوية إسلامية، وفى جميع المراحل التعليمية كل بما يناسبها.

5- ينبغي الاهتمام بنتائج البحوث التربوية التي تناولت الفكر العربي الإسلامي واستخراج ما يمكن أن يفيدنا منها في أمور التربية والتعليم والثقافة، والعمل على تطويرها بما يتلاءم العصر الحديث، بدلاً من أن نكون مقلدين الغرب في كل شيء.

ومن خلال ما قدمناه من توصيات، يمكن أن نستعرض المقترحات الآتية:

ـ دراسة الفكر السحنوني مقارنة مع بعض أعلام رواد الفكر الإسلامي، كابن عبد البر، وابن رشد، وعمر المختار.

إجراء دراسة علمية تختار نصوصاً وأقوالاً للشـيخ ابن سحنون وآراء ه التربوية، وتدرس في المؤسسة التعليمية والتربوية.

## الهوامـــش :

**ـ القرآن الكريم . برواية قالون عن نافع المدني .**

1. سورة العلق ، الآيات : 1 – 5 .
2. أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري : صحيح مسلم ، دار أبي حيان ، ط1 ، 1995 م ، حديث رقم 3683 .
3. طلعت همام ، سين وجيم عن مناهج البحث العلمي ، مؤسسة الرسالة ، عمان – الأردن ، 1984 م ، ص 43 .
4. الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، المطبعة الاميرية بمصر ، القاهرة ، ط1 ، 1905 م . ، باب الفاء ، ص 534 . وانظـــر كذلك : معجم اللغة العربية : المعجم الوجيز، القاهرة ، 1980 م . ، مادة ف ك ر ، والموسوعة الفلسفية العربية : معهد الإنماء العربي ، ط1 ، 1986م .، ج[1] ، ص653 .

5ـ محمد بن سحنـــون ، آداب المعلمين ، تحقيق أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان ، دار اللؤلؤة للطباعة والنشر ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 1435 هـ - 2014 م ، ص 37 .

6ـ عمـــر محمد التومي الشيباني ، الاتجاهات الحديثة في مفهوم التربية ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس – ليبيا ، 1980 م . ، ص 266 . وانظر كذلك : أحمد على الفنيش ، أصول التربية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1985 م .ص 15 .

7. معمر محمد ميلاد أحمد العباني ، الفكر التربوي عند شيخ الشهداء عمر المختار ، دار الكتب الوطنية بنغازي ، ليبيا ، ط1 ، 2019 م .
8. عاطف الطحاوي ، الفرسان العشرة في الإسلام ، مكتبة القـرآن الكريم للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1990 م .
9 سعد مرسى أحمد ، تطور الفكر التربوي ، الناشر عالم الكتب ، القاهرة ، ط11 ، 1998 م .، ص: 243 .
10. محمد بن سحنون ، آداب المعلمين ، مصدر سابق ، ص 44 .
11. سورة الفجر ، الآية :22 .
12. أحمد فؤاد الأهواني ، التربية في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، 1957 م ، ص 41 .
13. عبد الله عبد الدائم ، التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط6 ، 1987 م . ، ص 253 .
14. خليل طوطح ، التربية عند العرب ، دار الكتب المصرية ، جمهورية مصر العربية ، 2020م . ، ص 122 – 123 - 124 .
15. سورة المجادلة ، الآية : 11 .

**وغيرها من المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث :**

ـ أحمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، دار الكشاف للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1954 م .
ـ مصطفى أمين ، تاريخ التربية ، مطبعة المعارف بمصر ، القاهرة ، ط[2] ، 1962 م
ـ محمد عطية الإبراشي ، التربية الإسلامية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1951 م .